بسم اللهِ الرحْمَنِ الرحيمِ

أسْمار- هلالٌ في سَماءِ فِلسْطين – شِعْراً.

حَمْداً للهِ؛ وبَعْد:
فإنَّ للشِّعْرِ في النَّفْسِ صَوْلَةً وجَوْلَةً، كَيْفَ لا وَهُوَ خَلَجَاتُ النَّفْسِ ومَشاعِرُها، وقَدْ قيلَ: نِعْمَ السلاحُ لِلْمُسْلِمِ الشِّعْرُ، يَذُبُّ بِهِ عَنْ صَرْحِ الإسلامِ؛ ويَنْتَصِرُ بهِ عَلى خُصُومِه، وقَدْ قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ لِحَسانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهِ لَما هَجا قُرَيْشاً: إنهُ لأشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ، وقال له: أهْجُهُمْ ورُوحُ الْقُدُسِ مَعَك.
وقَدْ آثَرْتُ – عافاكَ اللهُ – أنْ تَكُونَ مُسامَرَتُنا هَذهِ حَديثَ القَلْبِ إلى القَلْبِ، وَحَديثَ فِلَسْطِينَ إلى مُحِبِّيها؛ فَكانَتْ هَذه القَصِيدَةُ؛ وهِيَ مِنْ (بَحْرِ الرَّمَل)؛ واللهُ مِنْ وراءِ القَصْدِ:
اللَّمَى: سُمْرَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ في الشَّفَةِ.
العَنَمْ: شَجَرَةٌ حِجازِيَّةٌ لَها ثَمَرَةٌ حَمْراءُ؛ يُشَبَّهُ بِها البنانُ الْمَخْضُوبُ.
الشَّبَم: البارِدُ؛ والقَرَاحُ: العَذْبُ.

شَكْوى الجَوانِح:

كَمْ سَرَى طَيْفٌ إلَيْها وألَمّ ... واشتَكَى اللَيْلُ تَبارِيحَ الألَمْ
يَوْمَ ناءَتْ بالهَوَى بَعْدَ النَّوَى ... لَمْ يَعُدْ فِي القَلْبِ سِرٌّ مُكْتَتَمْ
لَوْ تَراها حِينَ حَنَّتْ تَتَّقِي ... مُسْبَلَ الدَّمْعِ بِآياتِ الحِكَمْ
بَيْنَ حُبٍّ صادِقٍ في شِرْعَتِي ... وَزُيُوفِ الحُبِّ نارٌ تَضطَّرِمْ
أنا لا أَبْكِي جَمِيلاتِ اللَّمَى ... مَنْ سَقَيْنَ الشَّهْدَ أَطْرافَ العَنَمْ
مَنْ سُعادٌ مَنْ لُبَيْنَى مَنْ مُنَى ... مَنْ سُلَيْمَى مَنْ مَرامٌ مَنْ إرَمْ؟!.
أَنا أَرْثِي غَرْسَ مَجْدٍ طالَما ... قَدْ رَعَيْناهُ بِدِينٍ وقِيَمْ
كَيْفَ أَسْلُو وَفِلَسْطِينُ الهَوى ... لا وَمَنْ أَسْرى بِعَبَّادِ الحَرَمْ
مِحْنَتِي- والعَيْنُ تُغْضِي حَسْرَةً - ... بَحْرُ آلامٍ وأَنّاتُ الكَلِمْ
يا فِلَسْطِينُ اسْمَعِي واحْكِي لَنا ... قَدْ رَضِينا وهُدَى اللهِ الحَكَمْ

فِلَسْطِين:

كَفْكَفَتْ دَمْعاً وقالتْ: مِنْ إبائِي فِهْيَ أشْلاءُ قِصَّتِي ودَمْ
فاحْفَظُوها واحْفَظُوا فَمِنَ النِّسْيانِ جُرْمٌ يُجْتَرَمْ عَهْدِي لَكُم
كانَ يَوْماً لَسْتُ أنْسَى غَفِلَ الحُرَّاسُ عنْ حِفْظِ لَيْلَهُ الذِّمَمْ
فاسْتَطالَ البَغْيُ والظُّلْمُ وتَوَلَّى الذئْبُ يَرْعَى في انْتَشَى الحُرُمْ
فَهُنا أوْصالُ طِفْلٍ مُزِّقَتْ وهُنا الصِّبْيَةُ تَبْكِي خَيْرَ أُمٍّ
وهُناكَ الشيْخُ قَدْ آوَى إلى رَوْضَةِ الزَّيْتُونِ فِي أَصْفادِ هَمّ
ورُسُومٌ دَارِساتٌ عَهْدُها بِفَتاها الليْثُ طَلاَّعُ القِمَمْ
يا سَقَى اللهُ رُبُوعاً كانَ لي مِنْ بَنِيها الصِّيدِ عُنْوانُ الشَّمَمْ
فَزِعَ (القُدْسُ) وأَنَّتْ (غَزَّةٌ) وبَكَتْ (يافا) و(حَيْفا) لَمْ تَنَمْ
وغَدَتْ (عَكّا) تُنادِي مَنْ لَنا؟؛ فاسْتَجابَتْ للنِّدا أمْواجُ يَمّ
فِتْيَتِي – والجُرْحُ مِنِّي غائِرٌ - أينَ أنْتُمْ؟!؛ أَينَ فُرْسانُ الهِمَمْ؟!.
أَيْنَ مِنْكُمْ خالدٌ في عَزْمِهِ؟!؛ وشِفائِي سَيْفُهُ لا يَنْثَلِمْ
أَيْنَ عَهْدُ الله؟!؛ هلْ أنْ أَظَلَّ الدَّهْرَ فِي قَيْدِ تَرْضَوْنَ لِي الصَّنَمْ؟!.

صَوْتٌ مِنْ مَكانٍ سَحِيق:

فَأتاها صَوْتُ غِرٍّ قائلاً قَدْ خَطَبْنا وَكَتَبْنا لاجَرَمْ
وذَرَفْنا الدمْعَ هَتّاناً وما قَدْ بَخِلْنا بالدُّعا في الْمُلْتَزَمْ
وطَرَقْنا كُلَّ بابٍ دُونَنا بابَ عِمْلاقٍ طَرَقْنا وقَزَمْ!.
وسَعَيْنا ما سَعَيْنا جُهْدَنا وَرَجَعْنا بِقَراراتِ الأُمَمْ
وهَتَفْنا بِشِعارَاتِ الوَلا وصَمَدْنا بالتَّحايا لِلْعَلَمْ

وشَجَبْنا كُلَّ عَدْوانٍ ولَمْ نَتْرُكِ التَّنْدِيدَ عُرْباً والعَجَمْ
دَأْبُنا هَذا ولا نَرْضَى سِوى هَذهِ؛ عَمَّا سِواها فِي صَمَمْ

فِلَسْطِين:

فَأفاضَتْ مِنْ حَشاها زَفْرَةً ثُمَّ قالتْ: دُونَكَمْ؛ قالوا: نَعَمْ.
فانْبَرَتْ بَدْراً تَصَدَّى للدُّجَى وتَهاوَى الظُّلْمُ والبَغْيُ انْهَزَمْ
يا بَنِيَّ؛ الحَتْفُ كُلُّ الحَتْفِ فِي هِمَّةٍ فِيها هَوانٌ قَدْ جَثَمْ!.
والمَنايا والأَمانِي تَوْأَمُ!، حُلَّةُ الأَحْلامِ مِنْ نَسْجِ العَدَمْ!.
وسَلُوا (أُسْلُو) سَلُوا رُوَّادَها واسْأَلُوا مَنْ خاضَ أحْشاءَ الظَّلَمْ
وشَرَوْا بالآيِ (وَاياً) ويْحَهُمْ!؛ ما جَنَيْنا؟!؛ كَمْ مِنَ العِزِّ انْهَدَمْ؟!.
عُذْتُكُمْ باللهِ مِنْ أنْ تَحْسَبُوا في سَرابٍ مِنْ قَراحٍ وَشَبَمْ
كَيفَ تَرْجُونَ خَلاصِي عِنْدَ مَنْ رامَ كَيْدِي وحِبالِي قَدْ صَرَمْ؟!.
ما دَهاكُمْ؟!؛ حارَ لُبِّي؛ شَفَّنِي عَسْكَرُ الأحْزانِ؛ والخَطْبُ احْتَدَمْ
والمَعالِي في العَوَالِي!؛ لِلْمَنايا ولُيُوثِ المُزْدَحَمْ مَتْنُها
إنَّما الفَجْرُ لِمَنْ أسْرى، ولَنْ يَجْنِيَ الحَيْرانُ إلا مِنْ نَدَمْ!.

تَباشِيرُ الصُّبْحِ:

واسْتَدارَتْ تَرْقُبُ الفَجْرَ؛ وقَدْ جاءَ يَسْعَى وَأَرِيجُ البِشْرِ عَمّ
فَعَراها مِنْ نِدا التَّكْبِيرِ ما هَيَّجَ التَّذْكارَ وَبْلاً فانْسَجَمْ
يا عُهُودَ الوَصْلِ جُودِي بالمُنَى ناشَدَتْكِ اللهَ رَبِّي والرَّحِمْ

وتَنادَى الجَمْعُ يَفْدِيها؛ وكَمْ ودِماهُمْ أَنْبَتَتْ زَهْرَ الرُّبَى

قَدْ فَداها قَبْلَهُ خالٌ وعَمّ

فَجَنَى الرَّيْحانَ جُنْدُ المُعْتَصِمْ!.

وتَلَتْ مِنْ سُورَةِ الفَتْحِ، فما

أَعْذَبَ الدُّنْيا إذا الشَّمْلُ الْتَأَمْ.

وبالله التوفيق.